فلا تدعو الحزين بشر ضرًّا على قوم جزوه الخير شرًّا
سقونا اليوم كأس الحزن مرًّا بقتل مليكنا المحبوب غبنا

هم الحكماء والشرفاء اصلا فقدرهم مايب الحزن اصلى
لعلهم رأوا في القتل عدلا وسوف يفسرون غريب معنى

أنا رجل عيي قد اتيا صديقا في معانيه تربى
فلا عجب اذا ما زدت ندبا وارسلت الدموع عليه مزنا

فما أوتيت من قبل الفصاحه ولكن شجعتني ذي المناحه
وقد وكلت في نطق جراحه لشرح من غريب السر متنا

ولو أني بروتس في الخطابه لهيجت العواطف بالكآبه
وحركت الحجارة بالنيابه ليأخذ ثار قيصر كل مبنى

آداب المحادثة

للكاتب الفرنسوي الشهير الدوق روشفيكول

وقعت في اثناء مطالعاتي على القطعة الآتية في آداب المحادثة لصاحبها الدوق روشفيكول الفرنسوي فاستحسنت نقلها الى العربية على صفحات المقتطف لا لانها مدهشة في دقة معانيها وغرابة مبانيها فهي ليست من فرائد البلاغة · بل لما اشتملت عليه من صواب الملاحظات في لهجة صادقة وتعبير بين وعبارة سهلة · وزادني حرصًا عليها ان موضوعها المحادثة اشد المواضيع اتصالاً بالناس لا يخلو منه احدهم مرة او اكثر كل يوم الى آخر العمر · ومعظمهم مع ذلك يقصرون في شروطه تقصيراً يفضحهم لانه ينافي ما يدعونه من التمدن والتنور ورقة الطباع جاهدين نفوسهم في اثبات الدعوى بكيفية معيشتهم مأكلاً ومشرباً وملبساً ومركباً وزيارة واستزارة

واذا تأمل المتأمل قليلاً رأى للمحادثة شأناً كبيراً في تهذيب الاخلاق وتثقيف العقول وتنبيه الاذهان الى مباحث دقيقة ومشروعات جليلة كثيراً ما ينجم عنها فوائد عامة وخير شامل · وانما تكون كذلك اذا رعي حقها فلم يقتصر منها اصحابها كما يفعل ابناء الشرق على المطايبة والمفاكهة وقتل الوقت كما يقولون · وانما الوقت عمرهم وعمرهم هو كل ما يملكون · واما

ابناء العرب فقد تنبهوا الى هذه الوسيلة الثمينة فصار احدهم يعنى كل العناية باختيار عشيرو ومحدثيه لمعظم قدر الحديث والعشرة في نفسه . وبلغ من شدة حرصهم على الاحاديث وجنى فوائدها واطايبها ان انشأوا لها اندية خاصة عامرة بنتايها من يختارونهُ . وقد سبقهم اسلافنا العرب الى مثل ذلك حتى كان للاديب الكبير الوزير الصاحب بن عبَّاد مجلس يفوق مجالس الملوك واخلفاء يحضرهُ جمهور غفير من اهل العلم والادب والنقد والظرف وسواهم يعرض كل منهم بضاعتهُ على قدر مجهودهِ ويبادل اخوانهُ وجلاسهُ الافادة والاستفادة والايناس والانس . . .

ولا يخفى ان لذة الحديث تزيد كلما زاد شعور صاحبهِ وواعيهِ بسموه وفائدتهِ . وقد جرى يومًا بحضرة المأمون الخليفة العباسي حامي ذمار العلوم والفنون في عصرهِ ذكر ملذات الدنيا العظمى واطايبها الكبرى فخاض الذاكرون في البحث وعدَّدوا ما عددوا فلما انتهوا قال لهم المأمون ما معناه . « اين انتم من حديث الرجال فانهُ اعظم الملذات واطيبها من النفس وقعًا » فقالوا « صدقت يا امير المؤمنين »

وصلنا الآن الى نقل ما كتبهُ روشفيكول في آداب المحادثة . اما الكاتب فاسمهُ الدوق فرنسوى دي لاروشفيكول ولد سنة ١٦١٣ وتوفي سنة ١٦٨٠ وكان مشهوراً بالانشاء الناصع الجلي والكلمات الجامعة المانعة ويقينهِ القريب بحقارة البشر من كل فضل وفضيلة قائلاً ان كل ما لنا منهم خيراً محضاً في اصلهِ وفرعهِ ليس على شيء من ذلك اذا عرضناهُ على محك النقد الصحيح بل يرجع الى حب الذات وتطلب المنفعة . وهذا الذي قالهُ روشفيكول في المحادثة

« ان الذين يستحب حديثهم من الناس قليلون جدًّا لان معظم الجلاس والعشراء يحسبون حساب نفوسهم في ما يقولون ملتفتين الى ذلك اكثر من التفاتهم الى حساب غيرهم في حق التحدث مثلهم مع انهُ يجب على المرء ان يصغي الى حديث جلاسهِ لكي يصغوا هم ايضاً الى حديثهِ . يجب ان يدع لهم مجالاً للتعبير عن افكارهم ولو كانت تافهة ليس تحتها طائل وان يمازج قلوبهم وارواحهم منصرفًا اليهم بجملتهِ محدثًا اياهم في ما يروقهم مثنيًا على ما يستحق الثناء من اقوالهم مشعراً اياهم ان ثناءهُ عن يقين واعتقاد لا ملاطفة ومجاملة . غير قاطع عليهم حديثهم ولا معارض اياهم تجرد ولوعهِ بالمعارضة كما يجري في اكثر الاحيان

« ويجب ان يدع الجدال والخصام في المواضيع العقيمة التي لا يعرف فيها خير ولا شر وان يحترز كل الاحتراز من بدور اقل بادرة منهُ تدل على انهُ يعتقد في نفسهِ فضل ذكاء وسعة

اطلاع على جلسائهِ . وان لا يرى من مصائب الدهر تنازلهُ لسواهُ كرماً وتأدباً عن حق الحكم في بحث دار عليهِ الحديث

« ومن آداب المحدث بل واجباتهِ ان يجعل كلامهُ طبيعياً سهل المأخذ لا كلفة فيهِ وان يراعي حال المخاطب وطبعهُ وعلمهُ وذوقهُ في صعوبة او سهولة البحث الذي يعرضهُ ولا يسومهُ تصريحاً ولا تلميحاً استحسان مايقولهُ ولا الاجابة عليهِ بل يترك لهُ الخيار التام في ذلك . وان يبدي آراءهُ وامياله على غير تصلب وعناد مظهراً انهُ يلتمس من اقوال جلسائهِ زيادة علم واستنارة في ماهو فيهِ . وعليهِ ان يتحاشى اطالة الحديث عن نفسهِ وشؤونهِ وان لا يعين ذاتهُ مثالاً في حكاية يرويها او امر يفترضهُ

« ومن كمال الظرف ان لا يبالغ في استقصاء الموضوع الآخذ فيهِ ويعصر منهُ آخر قطرة بل يبقي فيهِ بقية لمخاطبيهِ فلا يفوتهم منهُ نصيب يسير في كلة حكم او استدراك

« والحذر كل الحذر من القاء الحديث بلهجة المتسلط الآمر ومن الباس الامر الصغير الحقير ثوباً ضافياً من الالفاظ الطنانة والاساليب الفخمة

« وللمحدث حق الاحتفاظ بارائهِ والحرص عليها اذا رآها صواباً ولكن لاحق لهُ ان يكسر خاطر من خالفهُ فيها ويمس كرامتهُ الشخصية بعبارة او اشارة . ولا يليق بهِ اظهار سخط او استياء من تلك المخالفة . ومن السلاطة والخشونة ان يحاول ادارة دفة الحديث دون سواهُ ويقصرهُ على موضوع واحد او يسوقهُ عمداً الى الجهة التي تروقهُ خاصة . بل يجب تناول اي موضوع كان عرض اتفاقاً على ميدان البحث

« ولا ينس ناس ان بعض المواضيع وان كانت حسنةً محبوبة بحد ذاتها قد لا تروق بعض الجلاس وان كانوا على جانب من الذوق والمعرفة فيجب اذاً بعد فحصها نصيبها من الوقت الانتقال الى غيرها من المواضيع التي تروق هؤلاء فلا يغبنون بالنسبة الى سائر اخوانهم

« وقصارى القول ان القاء الحديث بصورة ملائمة في وقت ملائم يقتضي حذقاً غير يسير

« والصمت يعوزهُ الحذق ايضاً لان لهُ كيفيات متباينة لا تكاد تقع تحت الحصر ومن ثم كان للبلاغة مجال فيهِ كما لها في الكلام . فقد يكون في الصمت اشارة استحسان او استهجان توقير او ازدراء الى غير ذلك . وقس على الصمت ودلالتهِ كيفية النغمة والفحة والاسلوب والايماء فان لها صوراً شتى تدل كل صورة منها على غرض ومعنى . والذين يدركون ذلك كله ويحسنون استخدامهُ حسب مقتضى الحال قلائل . وربما عجز عنهُ بعض من يضعون لهُ قواعد ويبوبون لهُ ابواباً . ولكن الحازم يسعهُ اتقاء اكثر مواضع الزلل بان يكون شديد التأمل

قليل الكلام كثير الاتهام لنفسه ولو جاء بالمرقص والمضطرب »

اقول وقد اشار الشاعر العربي الى هذه النصيحة الاخيرة من نصائح الكاتب الفرنساوي واصفاً رجلاً ذا علم وتواضع حيث قال

ويسيء بالاحسان ظناً لا كمن يأتيك وهو بشعره مشغول

ادوار مرقص

الجناية والتحقيق

اطلعنا على القصة التالية في مجلة ببرمن فعربناها لما فيها من الارشاد لقضاة التحقيق ورجال البوليس والاطباء عدا ما فيها من فكاهة الحديث. والقصة عن لسان طبيب اسمه جرڤس

قال كنت سائراً مع الدكتور ثرندَيك في حي ضيق الشوارع من احياء لندن واذا نحن بامرأة تسير مسرعة وعليها دلائل الخوف ووراءها شاب حسن البزة وعلى وجهه امارات الاضطراب. وحالما وقع نظرنا عليه عرف الدكتور ثرنديك وقال لهُ دعيت الآن لاحقق حادثة قتل او انتحار اتريد ان تراها معي يامولاي فان هذه اول حادثة حقيقية اراني خائفاً قلقاً

ولما قال ذلك عادت المرأة اليه وامسكت بذراعه وهزتهُ وهي تقول اسرع اسرع وكان وجهها ابيض شاحباً وقد تصبب عرقاً وشفتاها ترتجفان ونظرت الينا كأنها ولم ترَ ما يخيفهُ

فقال الدكتور ثرنديك للشاب ليك ياهارت. ثم اومأ اليَّ لاتبعهُ فتبعنا المرأة وهي تعدو امامنا

والتفت ثرنديك الى الشاب وقال لهُ هل جعلت اقامتك هنا وهل اخذت في الطب

فقال كلاَّ يامولاي وما انا الا مساعد ورئيسي طبيب القسم هنا ولكنهُ غائب الآن. وانا شاكر لك لطيفك معي

فقال ثرنديك اني آتٍ لارى ثمرة تعليمي فيك

واوصلتنا المرأة الى حارة بين الشوارع فرأينا جمهوراً من الناس وقوفاً امام باب فلما رأونا حادوا من طريقنا ودخلت المرأة امامنا مسرعة وصعدت على سلم الى ان وصلت الى العلالي حيث يبتدئ سلم آخر ولما قربت الى هناك جعلت تصعد همساً ثم اشارت بيدها الى باب وقالت تجدونها هنا. وارتقت على درجة السلم الثاني عياء

فصعدنا وراءها وفتحتُ الباب والتفت لارى ثرنديك فوجدتهُ صاعداً متمهلاً وهو يلتفت